بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا، والصلاة والسلام على من بعثه الله للعالمين بشيرا ونذيرا، وعلى آله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وعلى صحبه والتابعين لهم بإحسان ..

وبعد ..

فقد زعم بعض أهل العلم أن آية التطهير المباركة، وهي قوله تعالى في سورة الأحزاب : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ زعم أنها نزلت في أربعة من آل البيت خاصة، هم علي وفاطمة والحسنان رضوان الله عليهم أجمعين، وأنهم سبب نزولها، وأن أمهات المؤمنين لا يدخلن في هذه الآية ! فرددت ذلك عليهم في هذه الرسالة المختصرة، مبينا أنهن سبب نزول الآية، وأن فضل الله واسع، وأن الفضل يشملهن وغيرهن، واقتصرت على خمس وعشرين حجة، وسميتها : "**رَفْعُ التَّحْجِير عَنْ آيةِ التَّطْهِير**" سائلا الله تبارك وتعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يكتب للعبد الفقير ثوابها، وأن ينفع بها طلابها، آمين.

الحجة الأولى:

خاطب الله سبحانه وتعالى أمهات المؤمنين في سورة الأحزاب المباركة فقال : (**يا نساء النبي** ..) ثم لم يزل يخاطبهن بالأوامر المقترنة بنون النسوة المختص بخطاب النساء حتى قال: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ فلم يزل يخاطبهن من بداية الآية بقوله: (**وقرن** ..) إلى أن قال: (**إنما يريد الله** ..) حتى ختم الآية، فافتتح أخرى فقال: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ فاستأنف خطابهن.

فمن تلا هذه الآيات ممن عقل ونال حظا من معرفة لسان العرب فهم على البديهة أن الله إنما خاطب زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بهذا كله دون حاجة إلى تكلف وطول نظر، ولئن جاز أن يكون غيرهن

مخاطبا معهن ـــ لقرائن ـــ فلا جائز ألا يكنَّ مخاطبات بهذه الآيـــات، وهذه هي دلالة السياق.

❁❁❁

الحجة الثانية:

مجيء الحرف: (**إنما**) في قوله: (**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس**)، فالحرف (**إنما**) لا يصلح للابتداء، قال الفراء: (**ولا يكون ابتـــداء إلا ردا على أمر، ولا يكون ابتداء كلام**) وأيده ابـــن فـــارس فقـــال: (**والذي قاله الفراء صحيح وحجته: "إنما الولاء لمن أعتق"**)، وهـــذا قاله النبي صلى الله عليه وسلم ردا على من باع وشرط الـــولاء لـــه، فكأن (**إنما**) قد اشتملت على معنى (**بل**) أو (**لكن**) وهذان لا يصلحان للابتداء، فعلى هذا لا بد أن يكون قبل (**إنما**) كلام تتصل به، فلـــو لم تكن (**إنما**) في آية التطهير متصلة بما قبلها من خطاب أمهات المؤمنين لوقعت في بداية كلام جديد، وهو ما منعه الفراء وابن فارس آنفا، وإذا كان ابتداؤها ممتنعا، وكان اتصالها بكلام قبلها واجبا، وجب أن تكون

متصلة بما قبلها، وما قبلها مختص بأمهات المؤمنين، إذن فهي في أمهات المؤمنين، وهو المطلوب.

❁❁❁

الحجة الثالثة:

الحرف (**إنما**) يفيد في ظاهر معناه عند البلاغيين الحصر والتأكيد، ويقوم مقام حرفين هما: (**ما**) النافية و(**إلا**) الاستثنائية، قال الإمام البلاغي السكاكي: ((**والسبب في إفادة إنما معنى القصر هو تضمينه معنى (ما) و(إلا) ولذلك تسمع المفسرين لقوله تعالى " إنما حرم عليكم الميتة والدم " بالنصب يقولون معناه ما حرم عليكم إلا الميتة والدم**))اهـ. فقولنا: (**إنما قام زيد**) بمنزلة قولنا: (**ما قام إلا زيد**)، فإذا فهمت هذا فاعلم أن قول القائل مثلا: (**إنما خلق الله الشمس**) بمنزلة: (**ما خلق الله إلا الشمس**) وهذه الجملة بهذا الإطلاق صحيحة لفظا، ويسمى أسلوب القصر فيها بالقصر الحقيقي، ولكنها باطلة معنى، وإنما كانت باطلة المعنى لأننا نعلم بالضرورة أن الله لم

يخلق الشمس فقط بل خلقها وخلق غيرها من المحدثات .. فلا يصح معنى عبارة (**إنما خلق الله الشمس**) حتى تقيد بشيء قبلها، فلو فرضنا معتزليا قال: (**خلق الله القرآن كما خلق الشمس**) لجاز أن يرد عليه السني فيقول: (**إنما خلق الله الشمس**) أي ما خلق الله مما ذكرت في كلامك إلا الشمس، لأن القرآن كلام الله غير مخلوق، فانظر كيف صحت العبارة عند تقييدها وربطها بما قبلها، وإذا كان القصر والحصر مقيدا فإنه يسمى بالقصر الإضافي، فانظر كيف صحت العبارة عند تقييدها، بينما بطلت عند إطلاقها بانفصالها واستقلالها، قال الفراء: (**إذا قلت: إنما قمت، فقد نفيت عن نفسك كل فعل إلا القيام**) فكذلك شأن آية التطهير، فلو فرضناها مستقلة لا علاقة لها بما قبلها من خطاب أمهات المؤمنين لصار معناها: (**ما يريد الله إلا إذهاب الرجس**) فينتفي تعلق إرادة الله سبحانه بشيء غير إذهاب الرجس! فكأنه لم يرد أي شيء قط غير هذا! وهذا معنى باطل، لأننا نعلم بالضرورة أن الله أراد أشياء كثيرة غير إذهاب الرجس، فأراد خلق العرش والملائكة والسماوات والأرضين وبث الخلق فيها وبعث الرسل .. فاحتاجت هذه الآية إلى ارتباط بما قبلها بحيث ينحصر النفي

والإثبات بين أشياء معينة، فيكون المعنى: ما يريد الله ما تقدم من الأوامر والتكاليف لإعناتكن والإشقاق عليكن، بل أرادها ليذهب عنكن الرجس، وبهذا الارتباط يُعلم أن نفي الإرادة لم يكن مطلقا بل نفي إرادة الإشقاق بالأوامر دون التطهير، وهذا الوجه المتعين لا يصح إلا إذا كانت آية التطهير مرتبطة بما قبلها غير منفصلة، وارتباطها بما قبلها يوجب أنها في أمهات المؤمنين لا محالة، وهو مدعانا.

❋❋❋

الحجة الرابعة:

قوله تعالى: (**يريد الله**) جملة من فعل وفاعل، والفعل (**يريد**) متعد لمفعول محذوف لدلالة ما قبله عليه، وهي الأوامر الموجهة إلى نساء النبي صلى الله عليه وسلم، وتقديره: يريد الله ذلك أي ما تقدم كله إلى قراركن في البيوت وإقامتكن الصلاة وإيتائكن الزكاة وطاعتكن لله ورسوله (**ليذهب عنكم الرجس**) فاللام في (**ليذهب**) للعاقبة، وإنما

سهل تقدير ذلك المفعول المحذوف لدلالة ما قبله عليه، وهـــذا هـــو الإعراب الظاهر، كما قال أبو حيان في قوله تعالى: (**وأمرنا لنـــسلم لرب العالمين**) قال: ((**الظاهر أن اللام لام كي ومفعول** (**أمرنا**) **الثاني محذوف وقدروه: وأمرنا بالإخلاص لكي ننقاد ونستـــسلم لـــرب العالمين**))اهـــ. كلام أبي حيان، فكذلك قوله: (**يريد الله**) ولو أن الآية لغير الأزواج المطهرات وكانت مبتدأة تخاطب غيرهن لبقينا عـــاجزين عن تقدير مفعول (**يريد**) حائرين لا نعرف ما هو، لأنه إذا قال: (**إنما يريد الله ليذهب عنكم** ..) ولم يكن قبلها شيء تتعلق به لما عرفنا ماذا يريد ليطهرهم؟ فإنه لم يتقدم ذكرٌ لخطاب غيرهن فيفهم منه المـــراد، وهذا الذي قلناه على أظهر وجوه الإعراب، ولما كان أظهر وجـــوه الإعراب لا يسوغ حذف المفعول إلا لدلالة ما قبله عليه وجـــب أن يكون ما قبله دالا عليه، ولا يكون ما قبله كذلك إلا إذا كان الخطاب في آية التطهير للزوجات المذكورات قبل وبعد هذه الآية فتم المطلوب بمساعدة أظهر وجوه الإعراب.

❁❁❁

الحجة الخامسة:

أن الأصل في الكلام أن يُذكر الاسم الظاهر ثم تعطف عليه ضمائره، ولا يجوز أن تذكر الضمائر دون اسم ظاهر متقدم في الكلام ترجع إليه، فقوله تعالى: (**ليذهب عنكم** ..) جاء فيه الضمير ـ وهو الكاف ـ بدلا من الاسم الظاهر، والضمير لا بد له من اسم ظاهر يرجع إليه، فإذا قرأ القارئ الآيات حتى يصل إلى قوله: (**ليذهب عنكم** ..) لم يجد شيئا مذكورا يتعلق به الضمير إلا نساء النبي صلى الله عليه وسلم، إذ ليس يوجد اسم ظاهر واضح سابق في الذكر على هذا الضمير صالح للرجوع إليه إلا قوله: (**نساء النبي**) فوجب أن يكون الضمير راجعا إليهن وهو المطلوب، ووجوب مرجعية الضمير إليهن إنما يصح إذا كن المخاطبات، وأما إذا لم يكن المخاطبات بآية التطهير فإن الضمير يبقى بلا مرجع، وهذا مردود لأنه مفسد للكلام مخل بمعناه.

فإن قيل: لم لا يجوز عود الضمير على مفهومٍ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ فرجع الضمير على مفهوم وهو القرآن ؟

فالجواب: أن الضمير عائد في قوله: (**إنا أنزلناه**) على مذكور قبلــه، لأن الله تعالى قال قبلها في ســورة العلق: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ فكأنه قال : اقرأ ما أنزلناه عليك .. ثم قال في السورة بعدها : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَـٰهُ فِى لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ فكان الضمير عائدا على مذكور قبله.

ولو فرضناه عائدا على مفهوم فهذا مشروط بوضوح المفهوم وعــدم إشكاله، ففي سورة القدر لا يوجد مشوش ولا معكر، فــلا يوجــد مرجع مذكور ولا مفهوم للضمير ينافس القرآن، فانصرف الــضمير إليه، وأما في مسألتنا فالقرائن التي تكتنف الضمير (**عــنكم**) في آيــة التطهير كلها تشير إلى زوجات النبي صلى الله عليــه وســلم كمــا أوضحناه في الحجج السابقة، وكما سيأتي إيضاحه كذلك، فلو أريــد بالضمير غير الزوجات ــ مع كل ما سنذكره من القرائن ــ لكــان الاعتماد على المفهوم في إرادة غيرهن إيهاما وإلغازا، والقرآن منــــزَّهٌ عن ذلك، فتعين رجوع الضمير إلى نساء النبي صلى الله عليه وســلم، وهو المطلوب.

❁❁❁

الحجة السادسة:

ومن الحجة في ذلك أن الله تعالى قال: (**ليذهب عنكم الرجس**) وكان الأصل أن يقال: (**ليذهب الرجس عنكم**) فقدم ما حقه التأخير، فأفاد مزيد الاهتمام والعناية بالمقدم وهو (**عنكم**) ثم قال: (**أهل البيت**)، يناديهم، فعلمنا بالضرورة أن هذا البيت الذي عناه الله تعالى بيت له من الله عناية خاصة حتى أولاه اهتماما وتشريفا وتعظيما، واختصه تعالى بأشياء ليست في سائر البيوت، فنظرنا في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله وآثار السلف الصالح فوجدنا البيوت فيها كلها سواء إلا بيوت النبيين، ولم نجد بيتا من بيوت أمة نبينا أحق بهذه الصفة والمنزلة من بيوت النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وأزواجه، فإن الله تعالى أمرهن ونهاهن وشرفهن وميزهن في خطاب لم يخاطب به أحدا مثلهن، فاختص نساء النبي بالذكر فيما ينفردن به من الأحكام وفيما يشتركن فيه مع غيرهن كما في آية الحجاب والاستئذان وسؤالهن متاعا، وخيرهن بين الدنيا والآخرة، ووعدهن الأجر العظيم والرزق الحسن، وجعل السيئة والحسنة منهن مضاعفة، ونفى أن يكن كأحد من النساء، ونهاهن عن الخضوع بالقول وعن التبرج، وأمرهن بقول

المعروف والقرار في البيوت وإقام الصلاة وإيتاء الزكـــاة وطاعـــة الله ورسوله وذكر ما يتلى في بيوتهن، وعاتبهن على التقصير، وحرم عليهن النكاح بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وجعلهن أمهات للمـــؤمنين .. وليس هذا لبيت من بيوت النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا البيت، فلما رأينا ذلك في كتاب الله وتحققناه أيقنا أن بيوت نسائه هو البيت الذي ميزه الله تعالى وقدم ذكره واختصه في قوله:

(**ليذهب عنكم الرجس**)، فظهر أنه المراد بإذهاب الرجس والمقـــصود بالتطهير.

❁❁❁

الحجة السابعة:

ومن الحجة في أهن مخاطبات بقوله: (**أهل البيت**) أن زوج الرجل هي أهله، قد أجمع العرب على هذا، ودليل هذا ما تراه في كل معاجم اللغة العربية، وقد قال تعـــالى: ﴿ فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ ﴾ فـــسمى الله زوج سيدنا موسى عليه السلام أهله، وقال تعالى لسيدنا لوط عليه السلام:

﴿ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴾ فاستثنى

امرأته من الأهل، ولولا أنها منهم ما صح استثناؤها، وتواترت الأخبار بإطلاق الأهل على الزوجة، منها قوله صلى الله عليه وسلم فيما روى البخاري وغيره: (**لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضي بينهما ولد لم يضره**) وهذا قطعي الدلالة على أن الأهل هنا الزوجة لا يجوز غيرها بدلالة ذكر الولد، وعرف العرب هذا في لسانهم لا ينكرونه، والأهل وإن جاز أن يقصد بهم غير الزوجات إلا أن القرينة قد تعينهن وتفرض انصراف الذهن إليهن، كما هو الحال في آية التطهير، لأنهن المخاطبات من أول الآيات إلى آخرها بقوله: (**يا نساء النبي**) وباستعمال نون النسوة في الأوامر، وحيث لم يأت خطاب لغيرهن يقطع خطابهن ويخرجهن، فلا يزال الذهن السليم منصرفا إليهن، والفهم العربي الصحيح مقبلا عليهن وقد رأى خطابهن قبل آية التطهير وبعدها.

❁❁❁

الحجة الثامنة:

ومن الحجة في ذلك أيضا إضافة الأهل إلى البيت في قوله تعالى: (**أهل البيت**)، ولا بيت أشرف وأولى بالمقصود هنا من بيت النبي صلى الله عليه وسلم الذي يبيت فيه وهي تسعة بيوت، وإضافة الأهل إليه تعني من يلازمون هذا البيت حتى صاروا أهله، وأولى الناس بهذا الوصف من جملة قرابة النبي صلى الله عليه وسلم هن أزواجه، لأنهن الملازمات للبيت والمأمورات بقوله تعالى: (**وقرن في بيوتكن**)، وأما غيرهن من قرابة النبي صلى الله عليه وسلم فهم وإن ترددوا على بيته إلا أنهم لا يلازمونه كملازمتهن، وإنما يأتونه ساعة من ليل أو نهار كما يأتي الضيف ثم يرجعون إلى بيوتهم، فزوجاته اللاتي لا يفارقنه في فراشه ونومه ويقظته أولى به من غيرهن، وقال تعالى يذكر ملائكته المكرمين عليهم السلام وهم يخاطبون سارة زوج الخليل إبراهيم عليهما السلام وقد عجبت من البشارة بالولد: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ وليس لإبراهيم يومئذ من أهل في ذلكم البيت غيرها عليهما السلام، وقال تعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ

بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾. والمقصود هنا امرأة تصلح لإرضاعه يتقبلها موسى عليه السلام.

❁❁❁

الحجة التاسعة:

ومن الحجة أن لفظ: (**البيت**) في قوله: (**أهل البيت**) معرف بـــالألف واللام العهدية، وهذا يقتضي أحد أمرين: إما أن يكون سبق ذكر هذا البيت تصريحا باللفظ بالاسم الظاهر ــ وهذا هو العهد الـــذكري ــ وإما أن يكون بيتا عرف أهله وأصحابه لدى الناس حتى إنه لينصرف الذهن إليهم لأول وهلة بحيث لا يحتاج إلى التصريح بأصحابه، وعلى التقديرين يثبت أن المقصود هن الأزواج، لأنه على العهـــد الـــذكري فالمذكور قبل آية التطهير هن نساء النبي صلى الله عليه وسلم وبيوتهن: (**يا نساء النبي .. وقرن في بيوتكن**)، وعلى العهد الـــذهني فالمتبـــادر عادة إلى أذهان الناس هو أشرف وأعظم وأطهر البيوت، وهو هنا بيت النبي صلى الله عليه وسلم بلا شك حيث أزواجه الطاهرات قـــارّات

مُقِيمات، فثبت على التقديرين أن المراد هن الأزواج، ولا يجوز أن يراد بالألف واللام في (**البيت**) جنس البيوت، لأن هذا يجعل الخطاب لكل بيت وهو باطل، ولا يجوز كذلك أن تكون الألف واللام للعهد دون معهود ذكري أو ذهني لأن هذا يجعل البيت مبهما غير مبين ولا معروف أيّ بيت هو؟ والإبهام والإلغاز محال في القرآن، وتأخير البيان بتوضيح المقصود والمراد في وقت الخطاب أو وقت الحاجة لا يجوز فينزه عنه القرآن.

❁❁❁

الحجة العاشرة:

ومن الدليل الواضح على أن زوجاته المطهرات أهل بيته قوله تعالى عن إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ ﴾.

فنظرنا في هذه الآيات فإذا فيها خطاب من الملائكة لسارة زوج الخليل إبراهيم عليهم السلام، وإذا الملائكة عليهم السلام تقول لها: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ ﴾ فتدبرنا حال سارة فإذا هي زوج الخليل، وحيدة في داره، ليس لها أبناء، ولا للخليل معها في داره أحد غيرها، وقد خاطبتها الملائكة عليهم السلام كما رأيت، واعتبرنا حال نساء النبي صلى الله عليه وسلم وهو سيد الأنبياء، فلم نر فرقا بينهن وبين سارة، بل وجدناهن أولى بكل تشريف لأنهن أزواج سيد الأنبياء وخاتم المرسلين، ومن المعقول قياس زوجات الأنبياء بعضهن على بعض، ومقتضى قياسهن على سارة أن يكن أهل بيت نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما كانت سارة أهل بيت الخليل إبراهيم عليهم السلام، وإذا كانت سارة استحقت رحمة الله وبركاته وخوطبت على أنها (**أهل البيت**) لمكانتها من الخليل إبراهيم فأي عجب في إذهاب الرجس عن زوجات أشرف الخلق وسيد المرسلين وتطهيرهن وخطابهن بمثل ما خوطبت به سارة؟ فاعتبروا يا أولي الألباب.

❊❊❊

الحجة الحادية عشرة:

ومن الحجة في أنه تعالى عنى نساء النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (**ويطهركم تطهيرا**) أنا اعتبرنا حال أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بمريم عليها السلام، فوجدنا حالهن كحالها في آيات من القرآن الكريم من وجوه:

الأول: أن الله تعالى قال عن مريم: (**إن الله اصطفاك**) وقال للزوجات: (**لستن كأحد من النساء**).

الثاني: أنه قال لمريم: (**يا مريم اقنتي**) وقال للزوجات: (**ومن يقنت منكن**).

الثالث: أنه قال لمريم: (**واسجدي واركعي**) وقال للزوجات: (**وأقمن الصلاة وآتين الزكاة**).

الرابع: أنه قال عن مريم: (**كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا**) وقال للزوجات: (**وأعتدنا لها رزقا كريما**).

الخامس: أنه قال عن مريم: (**وأمه صديقة**) وقال عن الزوجات: (**وأزواجه أمهاتهم**).

السادس: أنه قال عن مريم: (**يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك**) وقال للزوجات: (**فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما**).

السابع: أنه قال في شأن مريم: (**وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما**) وقال في شأن عائشة: (**إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم..**) إلى آخر الآيات.

فلما اعتبرنا ذلك كله وتبين أن شأن مريم شأن أمهات المؤمنين، علمنا كذلك أن قوله تعالى لمريم: (**إن الله اصطفاك وطهرك**) كقوله لنساء النبي صلى الله عليه وسلم: (**ويطهركم تطهيرا**) في أنهن جميعا مطهرات ولهذا اجتمعن في كل ما تقدم.

❀❀❀

الحجة الثانية عشرة:

ويدل على ذلك قوله تعالى في نفس سورة الأحزاب بعد آية التطهير: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣ ﴾.

فانظر كيف ذكر: **(بيوت النبي)** ولم يقل أزواج النبي، والبيت لما كان يراد به مسكن الإنسان ويراد به امرأته أيضا لأنه يسكن إليها أعاد الضمير على البيوت بمعنى الأزواج فقال:

(وإذا سألتموهن متاعا) فذكرهن بالضمير ولم يتقدم لهن ذكر صريح، وإنما أرجع الضمير على البيوت يريد الأزواج، وهذا يسمى عند علماء البلاغة **(الاستخدام)** فدل على أنه اكتفى بقوله:

(**بيوت النبي**) في الدلالة عليهن وكأنه أقام (**بيوت النبي**) مقامهن وأنه يغني عن ذكرهن صريحا، فدل على أهن أهل بيته.

❁❁❁

الحجة الثالثة عشرة:

ومن الحجة أن نساءه أولى باسم أهل البيت من غيرهن قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ﴾ ففي هذه الآية وجوب الاستئذان على كل أحد قبل أن يدخل بيوت النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك لمكان أزواجه صلى الله عليه وسلم، فكل الناس يستأذنون النبي ويستأذنون أزواجه امتثالا لأمر الله، ومعلوم في العادة والعقل أن من لا يحتاج إلى إذن في دخول بيت النبي صلى الله عليه وسلم أولى باسم أهل البيت ممن يحتاج إلى الاستئذان في دخوله، وإذا كان بعض أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل لهم دخول بيت النبي صلى الله عليه وسلم إلا باستئذان ومع هذا فهم من أهل بيته كأبناء عمه رضي الله عنهم، فأزواج النبي صلى الله عليه وسلم أولى

بهذا الاسم لأنهن يدخلن بيوت النبي صلى الله عليه وسلم والتي هي بيوتهن دون إذن من أحد، وليس هذا لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه، وقد سمى الله هذه البيوت التي أوجب الاستئذان قبل دخولها بيوتهن فقال: **(وقرن في بيوتكن)** ، **(واذكرن ما يتلى في بيوتكن)**، فدل على أنهن أولى باسم أهل البيت من غيرهن وأن الآية فيهن.

❁❁❁

الحجة الرابعة عشرة:

ومن الحجج قوله تعالى: ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أخبرت الآية الكريمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتأذى من طول حديثهم في بيته، وهم لا يتحدثون بحرام، فإن كان ذلك يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم فكيف من يزعم أن أزواجه لسن من أهل بيته وأن الله تعالى لم يرد إذهاب الرجس عنهن ولا تطهيرهن وإنما أراد

ذلك لغيرهن ! فلا شك أن ذلك الزاعم قد آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

❁❁❁

الحجة الخامسة عشرة:

ومن الحجة قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا ﴾ بعد قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾. وفي المعقول والعادة أن الناس إنما يسألون ويطلبون ما يطلبونه من أهله ومن يملك التصرف فيه، وهم يطلبون هنا من أزواجه وهن في بيت النبي صلى الله عليه وسلم، فلما قال تعالى: **(بيوت النبي)** ثم قال: **(وإذا سألتموهن)** دل على أهن المسؤولات في بيته صلى الله عليه وسلم وأن لهن البذل والإعطاءِ والتصرف، ولو لم يكنّ أهل بيته لما جاز سؤالهن ولا تصرفهن، ولكن جواز سؤالهن وتصرفهن دل على أهن أهل بيته.

❁❁❁

الحجة السادسة عشرة:

ومن الدلالة قوله تعالى عن نساء نبيه الكريم يخاطب المؤمنين: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ﴾. وإذا أراد سبحانه طهارة بواطنهن من حديث النفس، فإرادة طهارتها مما هو أشد ــ وهو الرجس ــ أولى وأحرى، فالرجس المذكور في آية التطهير أشنع من حديث النفس قطعا، فإذا أراد طهارتهن من حديث النفس فلا ريب أنه أراد طهارتهن من الرجس، وإذا كان هذا شأنه تعالى مع باطنهن فكيف الظاهر! فتمت لهن الطهارة التامة الكاملة، فذلك قوله: (**ويطهركم تطهيرا**).

❁❁❁

الحجة السابعة عشرة:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾

ذكر المفسرون أن سبب نزول هذه الآية أن أحد الصحابة قال: "لـئن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم لأتزوجن فلانة مـن أزواجـه" فتأذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك ونزلت الآية، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد تأذى من ذكر التزوج من نسائه بعد موته ــ وهو في الأصل حلال قبل التحريم ــ فكيف بمن يزعم أنهن لسن ممـن أراد الله أن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا؟! وغيرة رسول الله معلومة، وإذهاب الرجس عنهن وتطهيرهن مما يسعد رسول الله ويرضيه والله قال لـه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ ومـا تطهر متطهر ممن حوله إلا ببركته وعظيم منـزلته عند ربـه فكيـف بأهل بيته وموضع شرفه وعزته! والنبي صلى الله عليه وسلم يحـب أن يذهب الله عنه وعن أهل بيته الشين والعيب، فوجب لذلك أن يكـن أولى نساء العالمين بطهارة الظاهر والباطن وبنفي الرجس عنهن لعظمة مكانتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

❀❀❀

الحجة الثامنة عشرة:

لما ذكر الله تعالى حقوق نبيه صلى الله عليه وسلم على المؤمنين قال: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ [الأحزاب: ٦] فذكر حقه عليهم ثم عطف عليه أزواجه صلى الله عليه وسلم مؤذنا أن من حقوقه أن يُنْزِل المؤمنون أزواجه منزلة أمهاتهم، ونحن نعلم بالضرورة أنهن لسن أمهاتهم اللائي ولدنهم، فلم يبق إلا أنهن أمهات في فضلهن وشرفهن ووجوب طاعتهن وبرهن ورعايتهن وحسن صحبتهن وحرمة نكاحهن، وإذا كانت تلك منزلتهن فهن أولى بالتطهير وإذهاب الرجس من غيرهن، وذلك أنهن شرفهن الله فجعلهن أمهات لكل المؤمنين، وهذه المرتبة لا يصلح لها إلا من تطهرت وأذهب الله عنها الرجس، ولو لم يكنّ كذلك فنالهنّ رجس ــ حاشاهن ــ لرجع العيب على أب المؤمنين وهو النبي صلى الله عليه وسلم وعلى كل المؤمنين لأنهم أبناؤهن، ولا يعقل أن يكون هذا الشرف لبعض أبنائهن دونهن، وإذا كنا نقطع أن إذهاب الرجس وإرادة التطهير حصلت لبعض أبنائهن فهن بذلك أولى وأحرى ضرورة أنهن أمهاتهم، والأم عمدة كل بيت ونواته وأصله، فلا يكون الأبناء من البيت دون

أمهم، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم بمنـــزلة الأب للمــؤمنين وهن بمنــزلة الأمهات ثم جاء أحد أبنائهن فقال: إن أمي ليست مــن أهل بيت أبي الذين أراد الله إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم، لكــان ناطقا بالقول المستقبح المستبشع، ولكان بذلك رادا لتشريفه تعالى لهن، ولصار بمنــزلة الابن العاق، فدل ذلك على أنهن المقــصودات بآيــة التطهير.

❁❁❁

الحجة التاسعة عشرة:

أنا نظرنا فيما قاله أهل الإسلام في آية التطهير، فإذا بهم ينتــهون إلى أقوال أربعة في المراد بأهل البيت: أزواجه، أو علي وفاطمة والحسنان، أو بنو هاشم، أو كلهم، فهذه أربعة أقوال لا خامس لها، وقد علمنا أن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة، وأن الحق في بعض ما ذهبوا إليه، فتدبرنا هذه البيوت كلها مجتمعة ثم تدبرناها بيتا بيتا، فوجدناها قــد اجتمعت في معان وافترقت في أخرى، فأما ما اجتمعت فيه فهو شرفها وعلو مكانتها ووجوب توقيرها وأنهم لا يرثون النبي صلى الله عليــه

وسلم كما يرث الأولاد آباءهم فما تركه فهو صدقة، وانفرد بنو هاشم بحرمة الصدقة عليهم، وتميز أزواجه بما ليس لغيرهن فخاطبهن الله بقوله: **(يا نساء النبي)** فأمرهن ونهاهن وشرفهن وميزهن في خطاب لم يخاطب به أحدا مثلهن، فاختص نساء النبي بالذكر فيما ينفردن به من الأحكام وفيما يشتركن فيه مع غيرهن كما في آية الحجاب والاستئذان وسؤالهن متاعا، وخيرهن بين الدنيا والآخرة، ووعدهن الأجر العظيم والرزق الحسن، وجعل السيئة والحسنة منهن مضاعفة، ونفى أن يكن كأحد من النساء، ونهاهن عن الخضوع بالقول وعن التبرج، وأمرهن بقول المعروف والقرار في البيوت وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله وذِكر ما يتلى في بيوتهن، وعاتبهن على التقصير، وحرم عليهن النكاح بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وجعلهن أمهات المؤمنين .. كل ذلك وغيره يخاطبهن فيه ويشدد عليهن دون غيرهن، مع أن بعض ما خوطبن به عام لا يختص بهن ! فلما رأينا ما ميز الله به هذا البيت من الخطاب والأمر والنهي والتشريف، رأيناه أكثر وأجل مما ميز به غيره، فعلمنا أنهن أولى بمعنى **(أهل البيت)** في آية التطهير من سائر البيوت التي ذكرها أهل الإسلام فيما اختلفوا فيه من تفسير **(أهل البيت)**، فوجب لذلك حمله عليهن،

وإن جاز أن يكون غيرهن مقصودا فهن لعمري أولى وأحرى، فهذا ما دل عليه السبر والتقسيم.

❀❀❀

الحجة العشرون:

ومما يدلك على صحة ما ذكرناه ما رواه المحدثون كأبي عيسى الترمذي في جامعه ــ وهذا لفظه ــ بسنده إلى عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما ربيب النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في بيت أم سلمة، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء، وعلي خلف ظهره، فجلله بكساء ثم قال: **اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا**. قالت أم سلمة وأنا معهم يا نبي الله ؟ قال: **أنت على مكانك وأنت إلى خير**)) اهـ.

والحجة فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع هؤلاء الأربعة فاطمة وعليا والحسنين، وذلك بعد نزول آية التطهير، ودعا لهم بما اشتملت عليه الآية من الفضيلة، فدل ذلك على أن الآية لم تنزل فيهم خاصة، لأنها لو كانت إنما نزلت فيهم خاصة لاستغنى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الذي أنزل الله تعالى في كتابه وبما أبان من فضلهم وقدّر وشاء، لاستغنى بذلك عن دعائه لهم وسؤاله ربه أن يشملهم بذلك الفضل، فإنه ليس بعد مشيئة الله تعالى مشيئة، ولا لأمره معقب ولا رادّ، وتحصيل الحاصل لا يليق بمقام النبي صلى الله عليه وسلم، فدل ذلك أن الآيات إنما نزلت في الزوجات خاصة، وأحب النبي صلى الله عليه وسلم أن يلحق هؤلاء الأربعة بهذه الفضيلة فجمعهم ودعا لهم.

❁❁❁

الحجة الواحدة والعشرون:

والبرهان على ما ذكرنا أيضا ما رواه المحدثون والحفاظ وصححوه من حديث أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنهما، وحديثها نحو حديث

ولدها المتقدم، وفيه من الحجة ما في حديث ولدها، وفي آخره تسأل أم سلمة رسول الله أن يشملها بدعائه معهم، فأجابها بجواب اختلفت ألفاظه في روايات المحدثين والحفاظ وقد جمعتها فإذا هي:

ـــ قالت ألست منهم؟ قال: "أنت إلى خير".

ـــ يا رسول الله أدخلني معهم. قال : "إنك من أهلي".

ـــ مكانك وأنت على خير.

ـــ إنك أهلي.

ـــ قال : أنت على خير مرتين.

ـــ قلت : وأنا ؟ قال : وأنت.

ـــ إن لك عند الله خيرا.

ـــ إنك بخير وإلى خير.

ـــ وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: وأنت معنا.

ـــ أنت على خير إنك من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

ـــ بلى إن شاء الله.

ـــ أنت وابنتك من أهل البيت.

فهذا مجموع ما رواه الحفاظ من جواب النبي صلى الله عليه وسلم لأم سلمة، وهي جوابات ملتئمة مؤتلفة، يدل بعضها على بعض ويشهد بعضها لبعض، وفيها ما يدل على أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم هن أهل بيته الذين نزلت فيهم الآيات، وأنهن في غنى عن الدعاء لهن وتخصيصهن، لما خصهن الله تعالى به وأنعم عليهن به من الخير والفضل.

فإن قيل: هلا أدخل النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة معهم في الكساء تطييبا لخاطرها؟

فالجواب: أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان ليجمع بين زوجه وبين ابن عمه في الكساء لا قبل نزول آية الحجاب ولا بعده فافهم، وقد روي أنه أدخلها بعد ذلك وحدها دونهم.

فإن قيل: لم قال "**بلى إن شاء الله**" و لم يجزم؟

فالجواب: أن كل واحد من أهل البيت إنما يكون مستحقا للفضل إن بقي على إسلامه ومات عليه، وإن بقي الزوجات راضيات برسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفارقنه للدنيا، ولهذا قال النبي صلى الله عليه

وسلم: "**إن شاء الله**"، وقد بان للمسلمين بما علموا من سيرة أهل بيته جميعا أن الله قد شاء ذلك لهم لما أن قُبِض النبي صلى الله عليه وسلم وهم مؤمنون به راضون به، وهو راض عنهم، وماتوا وهم مسلمون، فافهم.

❁❁❁

الحجة الثانية والعشرون:

ما رواه أهل الحديث وصححوه بألفاظ مؤتلفة من طرق عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال:

((قام فينا رسول الله صلى الله عليه و سلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيبه وإني تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، ثلاث مرات، فقال حصين: يا زيد، **ومن أهل بيته؟ أليست نساؤه من أهل بيته؟ قال بلى، إن**

نساءه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم.)) اهـ.

والحجة من هذا الخبر أن هذا الصحابي فهم أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته مع عدم ذكرهن في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم حرمة الصدقة عليهن، فدل ذلك على أنه إنما عرف أنهن من آل البيت بما جاء في كلام الله أو على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا يدحض زعم من زعم أنهن لسن من أهل بيته، كما يرد على من زعم أن أهل بيته محصورون في أربعة، وكيف يكون كل هؤلاء من أهل بيته من قرب منهم ومن بعد ولا يكون نساؤه من أهل بيته؟!

❁❁❁

الحجة الثالثة والعشرون:

ومن الحجة كذلك الخبر الذي رواه جمع من الحفاظ وصححوه عن واثلة بن الأسقع الليثي رضي الله عنه قال:

((جئت أريد عليا رضي الله عنه فلم أجده فقالت فاطمة رضـــي الله عنها انطَلَقَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه فاجلس، قـــال: فجاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخلا، فدخلت معهمـــا، قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنا وحسينا فأجلس كل واحد منهما على فخذه، وأدنى فاطمةَ من حجره وَزَوْجَهـــا ثم لَـــفَّ عليهم ثوبه وأنا منتبذ (١)، فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ اللهم هؤلاء أهلي! اللهم أهلي أحق. **قال واثلة: قلت: يا رسول الله وأنا من أهلك! قال: وأنت من أهلي، قال واثلة رضى الله عنه: إنها لمن أرجى ما أرجو.**

والحجة في هذا الخبر أن واثلة سأل النبي صلى الله عليه وسـلم مــن الفضل مثل ما لعلي وفاطمة والحسنين، فقال له النبي صلى الله عليــه وسلم: "**وأنت من أهلي**" فأنت ترى النبي صلى الله عليه وسلم كيف جاد بما سئل في يسر وسهولة، أفيجوز في عقل عاقل أن تسأله أم سلمة زوجه فيردها ـــ كما زعم الجاهلون ـــ ثم يستجيب لواثلـــة رجـــل أجنبي عنه من بني ليث، لا نسب له في قريش، ولا بذي قرابـــة مـــن

---

(١) ـــ جالس في ناحية.

رسول الله صلى الله عليه وسلم ! أفيجوز أن يكون واثلة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الفضيلة ولا يكون أزواجه من أهل بيته فيها ؟ اللهم لا، فثبت أنهن أهل بيته أو من أهل بيته بطريق الأَوْلى، وأنهن كن غنيات بما أغناهن الله به من فضله، وأن أم سلمة لما سألته أجابها بما يفيد أنها مفروغ من تحصيلها الفضيلة.

فإن قيل: ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "**اللهم أهلي أحق**" ؟ هل معناه أنهم أحق بالفضل من زوجاته؟

فالجواب: معاذ الله أن يكون هذا هو المعنى، بل هذا محال، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لو عنى أن الأربعة عليا وفاطمة وابنيهما أحق بالفضل الذي شاءه الله لزوجات النبي، لكان النبي صلى الله عليه وسلم بذلك رادا على ربه معقبا لحكمه، مقترحا عليه من هو أحق وأولى ممن خصه الله !! وهذا محال على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وبعيد على الأولياء والأصفياء، وإنما يقولون سمعنا وأطعنا، وإنما التعقيب والرد صنيع إبليس عندما قال: ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ .

وإنما معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "**اللهم أهلي أحـــق**" أي أنـــي خصصتهم بالدعاء والتماس الفضل منك لهم ـــ أو بدأت بهم ـــ مـــن بين سائر الناس من أجل أن الدعاء من المعروف، ومن أجل أنهم أهلي، وأهل الإنسان أولى بمعروفه من غيرهم، فلا تؤاخذني بما خصـــصتهم. هذا معناه، فافهم هذا ولا تغالط فإنه ضروري لسلامة الاعتقاد.

❁❁❁

الحجة الرابعة والعشرون:

ما صح من طرق عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سئل عن سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال : "**هو منا أهل البيت**".

ووجه الدلالة منه نحو ما تقدم في حديث واثلة، وإنما ذكرت هذا الخبر الموقوف على أمير المؤمنين علي لأنه خبر صـــحيح، وأمـــا المرفـــوع فضعيف لكنه يتقوى بهذا الموقوف لأن الظاهر أنه مما لا يقال بالرأي.

❁❁❁

الحجة الخامسة والعشرون:

ما رواه ابن أبي حاتم وغيره بإسناد صحيح أو حسن قال:
((حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا زيد بن الحباب حدثنا حسين ابن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ قال: **نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة.**

وقال عكرمة: **من شاء باهلته أنها نزلت في شأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم))** اهـ.

فهذا ابن عباس حبر الأمة وعالم الصحابة بتأويل القرآن الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم ربه جل وعلا أن يفقهه في الدين ويعلمه تأويل القرآن، وقد قال ابن عباس هذا الذي سمعته، ولا مخالف له من الصحابة، ولا راد عليه بإسناد يثبت. وهذا تلميذه عكرمة يقول ما تراه في السوق وينادي به فلا يرد عليه أحد، ولم ينقل لهذا القول معارض صحيح، فدل ذلك على صحة ما ذكرناه لك.

فإن قيل: كيف الجواب على بعض ما ورد مما هو معارض في الظاهر لقول ابن عباس كالذي روي عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت في الأربعة: علي وفاطمة وابنيهما؟

فالجواب من وجهين:

أولهما: أن المعارض لما ذكرناه لم يرو بإسناد صحيح أو حسن، فلا يقوم لمعارضة ما ذكرناه من الصحيح أو الحسن، فضلا عن معارضته لما تقدم من الأدلة الواضحة القوية والتي لا يكون ما خالفها إلا قولا شاذا أو منكرا لا يلتفت إليه.

وثانيهما: أن ما ورد من ذلك لو صح لم يكن معارضا لما ذكرناه، لأنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعلماء أمته التفسير بالمثال، فلا يكون المثال قيدا ولا احترازا من غيره، أو يكون تفسيرهم بالمعنى الأخص لغرض ما، لا لنفي غيره، وذلك كقول النبي صلى الله عليه وسلم : "**اقتدوا باللذَين من بعدي أبي بكر وعمر**" فليس في تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر منعٌ من الاقتداء بعثمان وعلي وأمثالهما، لأنه صلى الله عليه وسلم قد يكون ذكرهما

مثالا، أو خصهما بالذكر لأنهما أرفع أصحابه قدرا وأقرب إلى هديه، أو تنبيها إلى أنهما يكونان خليفتين راشدين من بعده.

فكذلك قول من قال من السلف إن أهل البيت هم علي وفاطمة والحسنان إنما ذكروهم خاصة لغرض، ذلك أن بعض أهل النصب والبدعة كان منحرفا عنهم، ينال منهم ويقلل من قدرهم وشأنهم، وقد كثر ذلك في أيام بني أمية، فخصهم من خصهم من أهل التفسير بالذكر لهذا المعنى، لا لإخراج غيرهم من أهل البيت من هذا الفضل فافهم ذلك فإنه مهم، وأمثلته كثيرة، وبه تلتئم كثير من النصوص وتتفق، والله أعلم.

فهذا ما أحببت ذكره من الحجج والبراهين، وكرهت الزيادة عليها مخافة الإطالة والإملال، والحمد لله ذي الجلال، وصلى الله وسلم على نبيه سيدنا محمد وعلى الصحابة والآل.

وكان الفراغ من هذه الرسالة في أيام التشريق من سنة ١٤٣١هـ.

❀❀❀